

منزلة الصحابة رضي الله عنهم في القرآن والسنة

مسيكة بنت عاصم القريوتية

الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول بتعديل الله تعالى ورسوله ﷺ لهم، وهو أمر حكم فيه القرآن إجمالاً، وفصله الرسول ﷺ تفصيلاً، فصارت القضية مسلمة في نفسها لا تحتاج إلى جدل ومناقشة، لأننا لا نفتقر إلى تعديل أحد وتوثيقه بعد تعديل الله ورسوله ﷺ.

والعدالة المرادة هنا لا تعني عصمتهم من الخطأ والسهو والنسيان، وإن وقع فلا يؤثر في قبول مروياتهم، لأن العصمة لا تكون إلا للرسول والأنبياء، بل المراد تجنب تعدد الكذب في الرواية والانحراف فيها بارتكاب ما يوجب عدم قبولها. وإن وقعت المعصية من الصحابة رضي الله عنهم فهم أقرب الناس إلى المغفرة للأسباب الآتية:

- ١ - تحقيق الإيمان والعمل الصالح.
 - ٢ - السبق إلى الإسلام والفضيلة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنهم خير القرون.
 - ٣ - الأعمال الجليلة التي لم تحصل لغيرهم كغزوة بدر، وبيعة الرضوان.
 - ٤ - التوبة من الذنب، فإن التوبة تجب ما قبلها.
 - ٥ - الحسنات التي تمحو السيئات.
 - ٦ - البلاء، وهو المكروه التي تصيب الإنسان، فإن البلاء يكفر الذنوب.
 - ٧ - دعاء المؤمنين لهم.
 - ٨ - شفاعة النبي ﷺ التي هم أحق الناس بها.
- قال ابن الأنباري - رحمه الله تعالى: " وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم

واستحالة المعصية منهم، وإنما قبول روايتهم من غير تكلف وبحث عن أسباب العدالة، وطلب التزكية إلا أن يثبت ارتكاب قاذح، ولم يثبت ذلك ولله الحمد^(١).

لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحترزون غاية الاحتراز عن الكذب على رسول الله ﷺ كما صرح به غير واحد من الأئمة^(٢).

وهذه مقتطفات من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في عدالة الصحابة - رضوان الله عليهم -، وحتى لو لم يرد تعديل الله ولا رسوله ﷺ لصحابته الكرام لكفاهم فضلا وتعديلا حالهم التي كانوا عليها من بذل الغالي والرخيص لإعلاء كلمة الله، مما يقطع بعدالتهم ونزاهتهم - رضي الله عنهم وأرضاهم - (٣) فكيف وقد جاء ت؟! فمن الآيات الدالة على فضائل الصحابة والتي تستلزم تعديلهم رضي الله عنهم:

قول الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠). وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أمته. (٤)

قال ابن كثير: الآية عامة في جميع الأمة، وخير قرونهم الذين بعث فيهم الرسول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. (٥)

وقال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (البقرة: ١٤٣)

وروى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا، فذلك قوله - جل ذكره -: ﴿وكذلك جعلناكم أمة

(١) فتح المغيث (١١٥/٣). (٢) انظر: الباعث الحثيث، لأحمد شاكر (٢/ ٥٠٠ - ٥٠١).

(٣) انظر: الكفاية للخطيب (ص ٩٦) (٤) زاد المسير (١/ ٤٣٨ - ٤٣٩).

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩١).

وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿١﴾، والوسط: العدل.

فهذا بيان من رسول الله ﷺ لمعنى "وسطا" أي: عدلا.

وقال البغوي: وسطاء أي: خيارا عدولا. (٢)

فالآية ناطقة بعد التهم رضي الله عنهم قبل غيرهم ممن جاء بعدهم.

وقال تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا

منهم واتقوا أجر عظيم، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا

وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (آل عمران: ١٧٢ - ١٧٣)

والمقصود في هذه الآيات: المهاجرون والأنصار الذين حضروا أحدا في ثاني يومها،

مدحهم بقوة الايمان والصبر على البلاء، وتفويض الأمور لله تعالى. (٣)

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم

ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة

لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (المائدة: ٥٤)

هؤلاء الذين أحبهم الله تعالى ومدحهم هم: أبو بكر، وجميع الصحابة رضي الله عنهم. (٤)

وقال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة

والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم

في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم

الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه

واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧)

والمراد بالنبي الأمي: محمد ﷺ، والذين يتبعونه المشهود لهم بالرحمة هم: أمته،

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ (ح ٤٤٨٧)

(٢) تفسير البغوي (٤٨/١)، وتفسير ابن كثير (١٩١/٣)

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٢٨/١ - ٤٢٩)

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٧٠/٢)

ويدخل فيهم أصحابه دخولا أوليا - (١)

وقال تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ (الأنفال: ٦٢ - ٦٣)

قال جمهور المفسرين: المراد بالمؤمنين: المهاجرين والأنصار. (٢)

وقال تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ (الأنفال: ٦٤)

وقد ذهب بعض المفسرين (٣) إلى أن المراد بذلك حسبك الله وحسبك المؤمنون: أي كافيك الله وكافيك المؤمنون، وفي هذا تنويه بفضل جميع المؤمنين الذين اتبعوا النبي، وبيان لشرفهم.

وقال تعالى: ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾ (الأنفال: ٧٤)

لقد وصفهم الله تعالى هنا بالمؤمنين حقا، أي بأنهم محققون لإيمانهم لأنهم بذلوا الغالي والرخيص في سبيل نصرته النبي ودينه.

وقال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ (التوبة: ١٠٠)

وأي تعديل أكبر من رضا الله تعالى عن صحابة رسول الله ﷺ، لأنه من رضي الله عنه لا يمكن موته على الكفر، لأن العبرة بالوفاة على الإسلام، فلا يقع الرضا منه إلا على من علم موته على الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : "والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا - ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٠١ و ٢٥١)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/٣٢٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/٣٢٣)

(٣) وذهب أكثر المفسرين إلى أن المعنى ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله، انظر: تفسير البغوي (١/٣٧٤)، وفتح القدير (٢/٤٧٠)

أبدا - فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك". (١)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)

وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما بيان ذلك، أي: مع محمد ﷺ وأصحابه. (٢)
والوصف بالصدق تعديل لهم رضي الله عنهم.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، وَمَغَانِمَ كَثِيرًا يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ١٨ - ١٩)

وأما عدد الذين بايعوا تحت الشجرة، فيرويه جابر رضي الله عنه قال: "كنا ألفا وأربع مائة" (٣).

وصح عن رسول الله ﷺ قوله: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة". (٤)

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١١٧)
وقد حضر تبوك جميع من كان موجودا من الصحابة إلا أهل الأعذار من النساء والعجزة، أما الثلاثة الذين خلفوا فقد نزلت توبتهم بعد ذلك.

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّרْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً

(١) الصارم المسلول (ص ٥٧٢ - ٥٧٣) (٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٩٩)

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (ح ٤١٥٤)

(٤) رواه الترمذي، كتاب مناقب الصحابة، باب فضل من بايع تحت الشجرة (ح ٣٨٦٠)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي (٣/٢٤٠)

وأجرا عظيماً ﴿الفتح: ٢٩﴾

والآية فيها ثناء على الرسول ﷺ ووصف الله بمرتبة الرسالة التي شرفه بها على الأمم، ثم عقبه بالثناء على الصحابة وتشريفهم بأن ذكرهم في الكتب السابقة قبل أن يخلقهم حتى أحبهم الأنبياء، وهذا من فضل الله عليهم، وعلو منزلتهم عنده رضي الله عنهم.

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : فالصحابة خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجب بهم في سمتهم.

وقال مالك: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك، فإن هذه الآية معظمة في الكتب المتقدمة.

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمه الله تعالى - في رواية عنه بتكفير الذين يبغضون الصحابة قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء. (١)

و"من" في هذه الآية لبيان الجنس، قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا﴾ أي: وعد الله هؤلاء الذين مع محمد، وهم المؤمنون الذين أعمالهم صالحة: ﴿مغفرة وأجرا عظيماً﴾ أي: ثواباً لا ينقطع، وهو الجنة، وليست "من" في قوله: ﴿منهم﴾ مبغضة لقوم من الصحابة دون قوم، ولكنها عامة مجنسة مثل قوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ (الحج: ٣٠)

لا يقصد للتبعيض، لكنه يذهب إلى الجنس، أي: فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان، إذا كان الرجس يقع من أجناس شتى، منها: الزنا، والربا، وشرب الخمر، والكذب، فإدخال "من" يفيد هنا الجنس، وكذا "منهم"، أي: من هذا الجنس، يعني: جنس الصحابة.

وقال تعالى: ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾ (الحديد: ١٠)، هذه الآية عامة في

الصحابه، والفتح فيها فتح مكة على قول الجمهور. (١)

وقال قتادة ومجاهد: الحسنی: الجنة. (٢)

وقال تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، والذين جاؤا من بعدهم يقولوا ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (الحشر: ٨ - ١٠)

قال الشوكاني - رحمه الله تعالى - : "أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولا أوليا لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم، ويطلب رضوان الله لهم، فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلا لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه، وخير أمة نبيه ﷺ. (٣)

وقد روى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ هؤلاء المهاجرين وهذه منزلة قد مضت.

ثم قرأ: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ ثم قال: هؤلاء الأنصار، وهذه منزلة قد مضت.

(٢) تفسير الطبري (٢٧/١٢٨)

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٠٦)

(٣) فتح القدير (٥/٢٠٢)

ثم قرأ: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ فقد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا الله لهم“ (١)

وقال تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ (التحریم: ٨) ففي هذه الآية الكريمة تعريض بمن أخزاهم من أهل الكفر، واستحماذ للمؤمنين بأنه آمنهم من خزيه في ذلك اليوم، فهذا دليل على موتهم على كمال الإيمان.

ويدخلون أيضا قبل كل أحد تحت كل آية فيها ثناء على المؤمنين، ووعد وبشارة لهم بالجنة. قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - : ”وفي الجملة: كل ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين، ومدحهم، والثناء عليهم، فهم - أي: الصحابة - أول من دخل في ذلك من هذه الأمة، وأفضل من دخل في ذلك من هذه الأمة“ (٢)

ولقد مدح النبي ﷺ صحابته رضي الله عنهم، ونهى عن سبهم وإيذائهم في أحاديث كثيرة صحيحة، تأكيداً لما في القرآن الكريم من الثناء الجميل عليهم، ومن ذلك:

- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: ”خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم“ - قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة -، قال النبي ﷺ: إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن“.

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ”خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن“ (٣)

(١) الإبانة، لابن بطة (١٣٢٥/٧) (٢) منهاج السنة (٢/٤٩-٥٠)

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (ح ٣٦٥٠)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم (ح ٢٥٣٣)، واللفظ للبخاري.

والقرن الأول من هذه القرون هو قرن الصحابة رضي الله عنهم.

قال النووي - رحمه الله تعالى - : "اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمراد: أصحابه". (١)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه".

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه". (٢)

قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - : "وذلك أن الإيمان الذي كان في قلوبهم حين الإنفاق في أول الإسلام، وقلة أهله، وكثرة الصوارف عنه، وضعف الدواعي إليه لا يمكن لأحد أن يحصل له مثله من بعدهم، وهذا يعرف بعضه من ذاق الأمر، وعرف المحن، والابتلاء الذي يحصل للناس، وما يحصل للقلوب من الأحوال المختلفة.

وهذا مما يعرف به أن أبا بكر - رضي الله تعالى عنه - لن يكون أحد مثله، فإن اليقين والإيمان الذي كان في قلبه لا يساويه فيه أحد.

قال أبو بكر بن عياش: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة، ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه، وهكذا سائر الصحابة حصل لهم بصحبته للرسول مؤمنين به مجاهدين معه إيماناً ويقيناً لم يشركهم فيه من بعدهم". (٣)

- وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "من سب أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين". (٤)

قال الآجري - رحمه الله تعالى - : "من سبهم فقد سب رسول الله، ومن سب رسول

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (٨٤/١٦)

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لو كنت متخذاً خليلاً" (ح ٣٦٧٣)

(٣) منهاج السنة (٢٢٣/٦)

(٤) رواه ابن عاصم (٦٨٦/٢)، وحسنه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير (٢٩٩/٥)

الله استحق اللعنة من الله، ومن الملائكة، ومن الناس أجمعين". (١)

— وعن علي رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم". (٢)

قال ابن حجر — رحمه الله تعالى —: "قيل الأمر في قوله: "اعملوا" للتكريم، وأن المراد: أن كل عمل البدرى لا يؤاخذ به، لهذا الوعد الصادق، وقيل: المعنى: إن أعمالهم السيئة تقع مغفورة فكأنها لم تقع". (٣)

وقال النووي — رحمه الله تعالى —: "قال العلماء معناه الغفران لهم في الآخرة وإلا فإن توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا، ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد، وأقامه عمر على بعضهم، قال: وضرب النبي ﷺ مسطحاً الحد، وكان بدرياً". (٤)

وقال ابن القيم — رحمه الله تعالى —: "إن هذا خطاب لقوم علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها، بل يوفقهم لتوبة نصوح، واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم، لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم، ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة، فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر، لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا جهاد، وهذا محال". (٥)

— وعن أبي بردة، عن أبيه قال: "صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: ما زلتُم ههنا؟ قلنا: يارسول الله!

(١) الشريعة، للأجري (٥٤٣/٣)

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس. (ح ٣٠٠٧)

(٣) الخصال المكفرة، لابن حجر العسقلاني (٢٥٨/٢)، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٩٥/٨)

(٥) الفوائد، لابن القيم (ص ١٦)

صلينا معك المغرب، ثم قلنا، نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم - أو: أصبتم - قال: فرفع رأسه إلى السماء - كان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء - فقال: النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون". (١)

قال ابن القيم - رحمه الله : " جعل نسبة أصحابه لمن بعدهم كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء، ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وأيضا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمانة لهم، وحرزا من الشر وأسبابه". (٢)

وعن جابر بن سمرة قال: خطبنا عمر فقال في خطبته: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: "ألا أحسنوا إلى أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم". (٣)

وفي رواية: "يا أيها الناس اتقوا الله في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم". (٤) وفي أخرى عن ابن عمر: "أوصيكم بأصحابي". (٥)

- وعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأيي وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأيي وصاحب من رأيي، وصاحب من رأيي، وصاحب من رأيي، وصاحب من رأيي". (٦)

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "يأتي زمان يغزو فتام من الناس، فيقال: فيكم من صحب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح عليه، ثم يأتي زمان،

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة (ح ٢٥٣١)

(٢) إعلام الموقعين (١٣٧/٤)

(٣) رواه ابن أبي عاصم (٩٨٨/٢)، ورجاله رجال الصحيح غير شيخ المصنف.

(٤) رواه ابن أبي عاصم (٩٨٨/٢)، ورجاله رجال الصحيح غير قبيصة، وهو ثقة.

(٥) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب في لزوم الجماعة (ح ٢١٦٥)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي (٢٣٢/٢)

(٦) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٩٨٣/٢)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح، وقال الهيثمي: رواه الطبراني من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح.

فيقال: فيكم من صحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح، ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب صاحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح. (١)

– وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار". (٢)

– وعن البراء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله". (٣)

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة". (٤)

وقد تقدم أنهم كانوا ألفاً وأربع مائة.

– وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب". (٥)

وهذا القول صدر منه ﷺ في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم رضي الله عنهم حيث طلب أن يبلغوا ما سمعوه منه لمن لم يحضر دون أن يستثني أحدا منهم.

ويدخل الصحابة رضي الله عنهم دخولا أوليا في النصوص العامة التي فيها ذكر فضل هذه الأمة، كما يدخلون تحت الآيات التي فيها ثناء على المؤمنين، ووردت بصيغة العموم، وهي كثيرة يصعب تتبعها واستقصاؤها، وكلها شاهدة بفضل الصحابة وعدالتهم رضي الله عنهم.

وفضائلهم على وجه التفصيل كثيرة جداً، يرجع إليها في مظانها في الصحيحين وغيرهما، ككتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد وغيره.

☆☆☆

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي (ح ٣٦٤٩)

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب حب الأنصار (ح ٣٧٨٤)

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب حب الأنصار (ح ٣٧٨٣)

(٤) رواه الترمذي، كتاب مناقب الصحابة، باب فضل من بايع تحت الشجرة (ح ٣٨٦)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي (٢٤٠/٣)

(٥) رواه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي: "رب مبلغ أوعى من سامع" (ح ٦٧)

بحوث ودراسات

أدبيات المسجد وتعزيز الأمن الأسري

د. سعد الدين محمد الكبي

مدير معهد الإمام البخاري للشريعة الإسلامية
ورئيس مركز البحث العلمي الإسلامي، لبنان

(٣-٣)

ضرورة المسجد في حياة الأسرة و أثره على أمنها

توطئة: إنّ الالتزام برسالة المسجد و أدبياته ضرورة شرعية للأسرة، وحاجة اجتماعية ملحة، وحماية عقدية من الفرق الضالة، ووقاية فكرية من الانحرافات الخطيرة، كما أنه يعزّز الأمن الصحي والاقتصادي للأسرة وأفرادها، وسوف أبيّن ذلك في المباحث التالية:

- ضرورة المسجد في حماية الأسرة من الانحراف العقدي.
- ضرورة المسجد في حماية الأسرة من الانحراف الفكري.
- ضرورة المسجد في حماية الأسرة من الأخطار الصحية.
- ضرورة المسجد في حماية الأسرة من الأخطار الاقتصادية.
- ضرورة المسجد في حماية الأسرة من التفكك.
- ضرورة المسجد في حماية الأسرة من التفرق الأبدي.

ضرورة المسجد في حماية الأسرة من الانحراف العقدي:

إن المسجد يضمن الأمن العقدي للأسرة، لأنه المكان الأول لتوحيد الله، والله عزّوجلّ قد أضافه لنفسه بقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. وإن ارتباط أبناء الأسرة بالمسجد، تتوثق الصلة بالله سبحانه، وتُصان الفطرة من التحريف، وتترسخ المبادئ الإسلامية الصحيحة في مفاهيم الأبناء، وبالتالي نحفظ الأبناء